

محرم / صفر ١٤٤٨ | العدد الخامس

خير أمة

عام جديد...
فهل تجدد العهد مع الله؟

عام جديد... فهل تجدد العهد مع الله؟

• إيمان وتوحيد

بين التوكل والخرافة: الإسلام يهدم أوهام التشاؤم والطيرة.
الابراج والطالع وقراءة المستقبل في ميزان التوحيد.

7

11

• القرآن والتفسير

وقفات مع قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾.

15

• السنة والاتباع

عاشوراء بين هدي النبي ﷺ وبدع المبتدعين.

18

• كشف الشبهات

أشهر البدع والمعتقدات المنتشرة في محرم وصفر.

23

• السيرة النبوية

يوم الهجرة .. تصحيح مفاهيم

31

صفحات من السيرة النبوية

38

• على خطى الصحايات

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ومواقفها في الهجرة.

41

• تزكية وسلوك

محاسبة النفس عند مطلع عام جديد.

45



• صفحات من السلف	49
موقف السلف من البدع الموسمية والمحدثات.	
• وصيتي	53
النجاة في لزوم السنة ولزوم جماعة المسلمين.	
• بلغوا عني	57
فضل تعليم القرآن.	
• أمر بالمعروف	60
الحسابات بين السر والعلن أيُّ وجهٍ يلقي الله؟	
• نهى عن المنكر	64
الرقية الشرعية بين الحقيقة والضلal.	
• متفرقات	69
ليست كل العبادات تقال.	
احتفالات المدارس والتخرج بين الفرح المشروع والتكلف المذموم.	72
حين نفقد أسباب النصر لا نطلبه من السماء بلسانٍ يناقض الواقع	78
• هموم أمتي إلى أين	81
عن الاسرى في سجون الظالمين.	
• أسماء الله الحسنى	85
ذو الجلال والإكرام.	

عام جديد

فهل نجدد العهد مع الله؟



تمضي الأعوام مسرعةً كأنها سحائب عابرة، ويطوي الزمان صحائف الأيام واحدًا تلو الآخر، حتى يجد العبد نفسه واقفًا على أعتاب عام جديد، وقد أودع في عامه الماضي من الأعمال ما الله به عليم. فليس السؤال: كم مضى من العمر؟ بل: ماذا بقي منه؟ وليس الشأن في تعاقب السنين، فإنها ماضية لا محالة، ولكن الشأن كل الشأن في القلب: هل ازداد معرفةً بالله؟ وهل رسخ توحيدُه؟ وهل اقترب من مولاه أم ازداد بُعدًا وغفلةً؟

إن المسلم لا يستقبل عامًا جديدًا بالضجيج والاحتفالات، ولا يجعل من تغير الأرقام مناسبةً للفرح المجرد، بل يقف وقفة محاسبة صادقة، يتأمل فيها حقيقة وجوده، ويتذكر أنه خُلق لعبادة الله وحده، وأنه سائر إلى لقاء رب لا تخفى عليه خافية. فكل عام ينقضي إنما هو مرحلة تقربه من قبره، وكل يوم يمر إنما يقربه من الآخرة.

ومن أعظم ما يحتاجه المسلم في مطلع عامه أن يجدد العهد مع الله؛ عهد التوحيد الخالص، وعهد الاتباع الصادق، وعهد البراءة من الشرك والبدعة والخرافة. فما أكثر ما تتجدد الأعوام وتبقى القلوب أسيرة الأوهام، تتعلق بالأسباب الواهية، وتتشاءم بالأزمنة والأشخاص، أو تفتش عن النجاة في غير ما شرعه الله لعباده.

إن شهر محرم يذكرنا بجرمة الزمان، ويذكرنا بأن النجاة كانت دومًا

لأهل الإيمان والتوحيد، كما نجّى الله موسى ومن معه وأغرق فرعون وجنده. ويأتي شهر صفر ليهدم أوهام الجاهلية التي كانت تتشام به، فيبقى درس الإسلام خالدًا: أن النفع والضرب بيد الله وحده، وأن الأيام لا تملك لأحد خيرًا ولا شرًا، وإنما الأمر كله لله.

فيا من أدركت عامًا جديدًا، احمّد الله على مهلةٍ جديدةٍ لم تنلها أفواجٌ من الخلق كانوا معك في العام الماضي ثم غيَّبهم الموت. وافتح صفحةً جديدةً مع ربك، وجدّد إيمانك، وأصلح سريرتك، واعتصم بالكتاب والسنة، فإن السعيد من ازداد مع الأيام قربًا من الله، والخاسر من طالت به السنون وهو مقيم على غفلته.

نسأل الله أن يجعل هذا العام عام توبةٍ وإنابة، وعام علمٍ نافع وعمل صالح، وأن يحيينا على التوحيد والسنة، ويميتنا عليهما، ويحشرنا في زمرة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.



بين التوكل والخرافة الإسلام يهدم أوهام التشاؤم والطيرة

كان العرب في الجاهلية يؤمنون بكثيرٍ من الأشياء، ويعظمونها في صدورهم، حتى غرست فيهم تلك المبادئ وأصبحت من عاداتهم وهويتهم، ومن ذلك التشاؤم والتطير التي ساد بينهم؛ وهذا بسبب جهلهم، وبعدهم عن معرفة الله، والتوكل، وإحسان الظن به سبحانه وتعالى.

فكان التشاؤم فيهم منتشر، ومن أمثلة ذلك:

- التشاؤم بالأيام والشهور.
- التشاؤم بالأشخاص أو الأماكن.
- التشاؤم بالحيوانات والجمادات، وغيرها من صور التشاؤم.

التطير من الوحي: - قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيِّرُوا بِمُوسَىٰ - وَمَنْ مَّعَهُ إِلَّا إِنَّمَا ظَايِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١)﴾

وقال تعالى في سورة يس: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾

التطير كان سائد أيضًا بين القرون التي مضت؛ كان في بنو إسرائيل، ومن ذلك كانوا يتطيروا بموسى ومن معه، ويقولوا: ذهب حظوظنا وأنصابؤنا من الرخاء والخصب والعافية مذ جاءنا موسى عليه السلام!

ولكن إذا أصابتهم حسنة (العافية والرخاء) قالوا لنا هذه، نحن أحق بها.

ولكن حين انبلجت سحابة الإسلام أمرنا وحذرنا من التشاؤم أو التطير مثلما يُقال وهدم تلك المعتقدات الخاطئة، التي ترسخت في عقولهم لقرون عدة، بل أنَّ الإسلام اعتبر ذلك من الشرك؛ فعن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: ”الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ“، وقال عنها شرك؛ لأنَّها من أعمالِ أهلِ الشِّركِ، ولأنَّها سوءُ ظنٍّ في الله عزَّ وجلَّ، ومن خلال هذا الحديث رسول الله ﷺ يخبرنا أن الله يذهب التشاؤم بالتوكل، فإذا توكلت على الله، ونظرت إلى جميع الأحداث التي تحدث بعين التوكل فأنت تصل إلى حسن الظن بالله، وقد أذهبت عن نفسك التشاؤم؛ فإحسان الظن بالله هو باب النجاة، أما الخوض في التشاؤم هو باب للشرك والعياذة بالله.

ورسولنا ﷺ كان يتفائل بالخير، ويحسن الظن بالله مهما أصابه من فهو من الله خير له؛ فكان ينظر للأشياء بعين الحكمة وحُسن الظن، والمؤمن لا بد أن يكون مقتدي بهديه ﷺ، وأن يسير على نهجه، ولكن هناك معتقدات دخيلة خاطئة انتشرت في زماننا الحالي، حتى أصبح البعض يأخذ بها، ويتشاءم بها، ومن صور ذلك:

- رفرقة العين؛ فاذا رمشت العين وخاصةً اليسرى كثيرًا يخاف صاحبها، ويظن أنَّ هو شر قادم، وإذا بالمصادفة حدث ذلك، فيخبر نفسه ومن حوله لقد كُنت أعلم سيحدث الشر التي قصده، وينسى أنَّ الأقدار تؤخذ من الأفواه!
- التشاؤم بشهر صفر ورجب؛ والمقولة الشهيرة التي نسمعها في صفر ورجب يموت الكثير من الناس.
- أول زبون يدخل المحل، فالبائع يحرص على ألا يخسر زبونه الأول؛ فإن خسره فذلك باب تشاؤم لليوم، أما إن أخذ منه الزبون فالبركة تحلّ يومه.
- وإذا أحدهم أصابته شَرَقَّةٌ مفاجئة يقولوا له: "فلان يتحدث عنك بالسوء".
- لذا علينا أن نتخلص منها، ونصحح معاييرنا؛ فهذه الأشياء التي نظنها بسيطة قد تدخلنا في الشرك من دون أن نشعر بذلك.

الأبراج والظالع في ميزان التوحيد

إن ما يُسمى بعلم النجوم، والحظ، والطالع من أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها، وبيان أنها من الشرك؛ لما فيها من التعلق بغير الله تعالى، واعتقاد الضر والنفع في غيره، وتصديق العرافين والكهنة الذين يدّعون علم الغيب زورًا وبهتانًا، ويعبثون بعقول السُّذَّج والأغرار من الناس؛ ليبتزوا أموالهم ويغيروا عقائدهم.

قال صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "من اقتبس شعبةً من النجوم، فقد اقتبس شعبةً من السحر، زاد ما زاد". رواه أبو داود، وإسناده صحيح.

وللنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه: "من عقد عقدة، ثم نفث فيها، فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وُكِّل إليه". وهذا يدل على أن السحر شرك بالله تعالى، وأن من تعلق بشيء من أقوال الكهان أو العرافين وُكِّل إليهم، وحُرم من عون الله ومدده.

وقد ذكر مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلوات الله وسلامه عليه، عن النبي صلوات الله وسلامه عليه، أنه قال: "من أتى عرافًا فسأله عن شيء، لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا". وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال: "من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلوات الله وسلامه عليه". أخرجه أهل السنن الأربعة.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا: "ليس منا من تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ". رواه البزار بإسناد جيد.

قال ابن القيم رحمه الله: (من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سموه عائفًا وعرافًا، والمقصود من هذا: معرفة أن من يدعي معرفة شيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن، وإما مشارك له في المعنى فيلحق به؛ وذلك أن إصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف، ومنه ما هو من الشياطين، ويكون بالفأل، والزجر، والطيرة، والضرب بالحصى، والخط في الأرض، والتنجيم، والكهانة، والسحر، ونحو هذا من علوم الجاهلية. ونعني بالجاهلية كل ما ليس من أتباع الرسل عليهم السلام، كالفلاسفة، والكهان، والمنجمين، ودهرية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ، فإن هذه علوم لقوم ليس لهم علم بما جاءت به الرسل ﷺ، وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهنًا وعرافًا وما في معناهما، فمن اتاهم أو صدقهم بما يقولون لحقه الوعيد. وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوام، فادعوا بها علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وادعوا أنهم أولياء الله، وأن ذلك كرامة). انتهى المقصود من كلام ابن القيم رحمه الله.

وقد ظهر من أقواله ﷺ، ومن تقارير الأئمة من العلماء وفقهاء

هذه الأمة، أن علم النجوم، وما يسمى بالطالع، وقراءة الكف، وقراءة
الفنجان، ومعرفة الحظ؛ كلها من علوم الجاهلية، ومن المنكرات التي
حرمها الله ورسوله، وأنها من أعمال الجاهلية وعلومهم الباطلة التي
جاء الإسلام بإبطالها، والتحذير من فعلها، أو إتيان من يتعاطاها وسؤاله
عن شيء منها، أو تصديقه فيما يخبر به؛ لأن ذلك من ادعاء علم
الغيب الذي استأثر الله به. قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

ونصيحتي لكل من يتعلق بهذه الأمور أن يتوب إلى الله، ويستغفره،
وأن يعتمد على الله وحده، ويتوكل عليه في جميع أموره، مع الأخذ
بالأسباب الشرعية والحسنة المباحة، وأن يدع هذه الأمور الجاهلية،
ويبتعد عنها، ويحذر سؤال أهلها أو تصديقهم؛ طاعةً لله ولرسوله
ﷺ، وحفاظًا على دينه وعقيدته.

— ابن باز رحمه الله تعالى

A close-up photograph of several vibrant pink carnations with green leaves and stems. The background is a soft, out-of-focus grey. Overlaid on the image is Arabic text in a white, elegant script. The text is arranged in two lines: the top line reads 'وقفات مع قوله تعالى' and the bottom line reads 'فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ'.

وقفات مع قوله تعالى
فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن الأشهر الحرم التي عَظَّم الله شأنها ورفع مكانتها، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ... مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾، ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾. وهي وصية ربانية جامعة تفتح للقلب أبوابًا من التأمل والتزكية والمحاسبة.

ولعل أول ما يلفت النظر في الآية أن الله تعالى لم يقل: ”فلا يظلم بعضكم بعضًا“، وإنما قال: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾؛ ليبين أن أول من يتضرر بالمعصية هو صاحبها، وأن الذنوب قبل أن تكون مخالفة لأمر الله فهي جناية على النفس وإفساد لها وحرمان لها من الخير والبركة.

وقد خَصَّ الله الأشهر الحرم بهذا النهي مع أن ظلم النفس محرم في كل زمان؛ تنبيهًا إلى شرف هذه الأشهر وعظيم حرمتها. فإذا كانت السيئات قبيحة في سائر الأوقات، فإن قبحها يشتد في الأزمنة التي عَظَّمها الله، كما أن الحسنات فيها أعظم أجرًا وأوفر ثوابًا. ولهذا كان السلف الصالح يعظمون هذه المواسم، ويجتهدون فيها في الطاعات، ويحذرون من الذنوب والغفلات.

وتدل الآية كذلك على أن مفهوم ظلم النفس واسع، فلا يقتصر على ارتكاب المعاصي الظاهرة، بل يشمل التفريط في الواجبات،

وإضاعة الأوقات، والغفلة عن ذكر الله، والتقصير في حق النفس بتزكيتها وإصلاحها. فكل ما يبعد العبد عن ربه أو ينقص من إيمانه فهو داخل في معنى ظلم النفس.

ومن أعظم ما يستفاد من هذه الآية أن المؤمن مطالب بمحاسبة نفسه ومراقبتها، ولا سيما في مواسم الطاعة والأزمة الفاضلة. فكلما عَظَّمَ العبد ما عَظَّمَهُ اللهُ، ازداد حرصًا على سلامة قلبه واستقامة عمله، وكان ذلك من دلائل التقوى التي يحبها الله ويرضاها.

وفي زمن تتكاثر فيه أسباب الغفلة والانشغال، تبقى هذه الآية نداءً متجددًا لكل مسلم: احذر أن تكون سببًا في شقاء نفسك، واحذر أن تظلمها بذنب أو تقصير، خاصة في الأوقات التي جعلها الله مواسم للرحمة والمغفرة. فالسعيد من اغتنم هذه المواسم في التوبة والإصلاح، وأقبل على ربه بقلب منيب، وعمل صالح، ونفسٍ تتطلع إلى رضوان الله وجنته.

{فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ}... كلمة قصيرة في مبناها، عظيمة في معناها، تحمل للعبد رسالة دائمة: أن طريق النجاة يبدأ بحفظ النفس من الظلم، وصيانتها بطاعة الله، وتعظيم حدوده وحرماته.

عاشوراء

صلى الله
عليه
وسلم

بين هدي النبي
وبدع المبتدعين



لقد جعل الله تعالى لعباده مواسم للطاعات، يتزودون فيها بالإيمان، ويتنافسون في القربات، ومن أعظم هذه المواسم يوم عاشوراء؛ اليوم العاشر من شهر الله المحرم، وهو يوم عظيم باركه الله قبل الإسلام، ثم زاده الإسلام شرفاً وفضلاً، وربطه بالتوحيد والشكر لله تعالى.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة، فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء، فقال: "ما هذا؟" قالوا: هذا يوم صالح، نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. فقال النبي ﷺ: "فأنا أحق بموسى منكم"، فصامه وأمر بصيامه. متفق عليه.

ثم لما فرض الله صيام رمضان بقي صيام عاشوراء سنةً مستحبة، فقال ﷺ: "أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله". رواه مسلم.

كيف كان هدي النبي ﷺ في عاشوراء؟

لم يكن هديه ﷺ في هذا اليوم إلا قائماً على العبادة المشروعة، ومن ذلك:

صيام يوم عاشوراء.

- استحباب صيام يوم قبله؛ لقوله ﷺ: "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع". رواه مسلم.
- ويجوز صيام الحادي عشر مع العاشر لمن أراد مزيداً من مخالفة

اليهود، أو إذا فاته التاسع. فأكمل المراتب:

- التاسع والعاشر.
- أو العاشر والحادي عشر.
- وأقلها صيام العاشر وحده.

ولم يُنقل عنه صلواته عليه وسلم أنه خص هذا اليوم بقيام، أو دعاء مخصوص، أو صلاة خاصة، أو زيارة للمقابر، أو احتفال أو مظهر من المظاهر التي أحدثها الناس بعده.

البدع التي أحدثت في عاشوراء

من أعظم نعم الله على هذه الأمة أن أكمل لها الدين، فلا يجوز إحداث عبادة لم يشرعها الله ورسوله صلواته عليه وسلم. وقد ظهرت عبر التاريخ بدع كثيرة في عاشوراء، منها:

- إقامة المآتم وإظهار الجزع ولطم الخدود وشق الجيوب بسبب مقتل الحسين رضي الله عنه.
- اختلاق أذكار وأدعية وصلوات مخصوصة لا أصل لها.
- تخصيص الاكتحال أو الاغتسال أو التوسعة على الأهل أو طبخ أطعمة معينة باعتقاد فضلها في هذا اليوم، وكل ما ورد في تخصيص ذلك لا يثبت عن النبي صلواته عليه وسلم.
- اعتقاد أن لهذا اليوم أسرارًا أو بركات لم يدل عليها دليل صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لم يستحب أحد من أئمة المسلمين في يوم عاشوراء شيئاً سوى الصيام، وأما ما سوى ذلك فبدعة لا أصل لها".

موقف المسلم من مقتل الحسين رضي الله عنه

استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما مصيبة عظيمة، نحزن لها كما نحزن لكل ما أصاب المسلمين، ونترضى عنه، ونشهد له بالفضل، لكننا لا نجعل هذه المصيبة سبباً لإحداث عبادات أو شعائر لم يشرعها الله.

فدين الإسلام دين العدل والاتباع، لا دين الغلو ولا الجفاء، فلا نرفع أحداً فوق منزلته، ولا نجعل الأحداث التاريخية مواسم لعبادات لم يأذن بها الله.

الميزان الحق

إن أعظم ما يميز أهل السنة أنهم يعبدون الله بالدليل، لا بالعاطفة، ويقفون عند النصوص، فلا يزيدون في الدين ولا ينقصون منه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. وقال ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". متفق عليه.

فليكن عاشوراء موسمًا لتجديد الاتباع، وإحياء السنة، وتعظيم

النصوص، لا موسمًا لإحياء البدع والخرافات.

إن النجاة ليست بكثرة الشعارات، ولا بالمظاهر الموسمية، وإنما بلزوم ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه. فمن أراد الخير في عاشوراء، فليلزم سنته ﷺ، وليكثر من الصيام والطاعة والذكر، وليحذر من كل عبادة لم يثبت بها دليل، فإن خير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.



أشهر البدع والمعتقدات المنتشرة في محرم وصفر

◀ كشف الشبهات

١. البدع في شهر محرم:

• ما زيننه الشيطان لأهل الضلال والغي ، من اتخاذ يوم عاشوراء مأتماً ، وما يصنعون فيه من الندب والنياحة ، وإنشاء قصائد الحزن ، ورواية الأخبار التي فيها كذب كثير، والصدق فيها ليس فيه إلا تجديد الحزن والتعصب، وإثارة الشحناء والحرب، وإلقاء الفتن بين أهل الإسلام والتوسل بذلك إلى سب السابقين الأولين ، وكثرة الكذب والفتن في الدين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وصار الشيطان بسبب قتل الحسين - رضي الله عنه- يحدث للناس بدعتين: بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء ، من اللطم والصراخ ، والبكاء ، والعطش ، وإنشاء المراثي، وما يفضي إلى ذلك من سب السلف ولعنهم، وإدخال من لا ذنب له مع ذوي الذنوب ، حتى يسب السابقون الأولون ، وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب ، وكان قصد من سن ذلك ، فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة ، فإن هذا ليس واجباً ولا مستحباً باتفاق المسلمين ، بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة ، من أعظم ما حرمه الله ورسوله).

- صلاة عاشوراء، والحديث فيها موضوع ورواته مجاهيل.
- وقراءة دعاء عاشوراء المذكور في مجموع الأوراد بدعة منكرة.
- ومثله دعاء أول السنة وآخرها، وهما بدعة مُنكرة ضلالة.

- وقولهم في دعاء عاشوراء: إن من قرأه لم يمُت تلك السنة، كذبٌ في الدين وجُرأةٌ على الله.
- وقراءة: حسبي الله ونعم الوكيل على ماء الورد للتشفي به من العلل والأسقام اعتقادٌ فاسدٌ وضلالٌ مبينٌ.
- وجُحور عاشوراء واعتقاد أنه رقية نافعة لدفع الحسد والنكد والسحر وكل شيء، اعتقاد شركي.
- خرافة رُقية عاشوراء الشَّركيّة، فيأذون نشارة الخشب فيصبغونها بالألوان الحمراء والزرقاء والصفراء ويُضيفون عليها شيئاً من الملح ويُنَادون في الشَّوارع: حلّمة رقت نبينا من العين يا الله السّلامة من العين، فتناديه النّسوة فتُعطينه قرشاً فيقرأ عليها المُغفل السّخيف هذه الرقية الحقيرة: يا حافظ يا أمين، يا كنز الطالبين... إلخ.
- اعتقاد ألوف الألوف أن رأس الحسين مدفوناً بالمسجد المشهور بمصر جهلاً بالتّاريخ، إذ قُتل الحسين بكرّلاء ودُفن بها، والناس إنّما يزورون خشب التّابوت والنّحاس ولفافة القماش الخضراء، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

٢. ومن البدع في شهر صفر

ومن البدع ما يعتقده الجاهلية من الناس في صفر، هذا الشهر بعض

الجاهلية يتشاءمون من صفر، ويقولون: إنه لا يسافر في صفر، وهذا جهل منهم وضلال وخطأ، فصفر مثل بقية الشهور، وبعضهم يقول: إن في صفر دابة تسمى صفر في البطن تؤذيه وتؤذي الأمعاء يتشاءمون بها في الجاهلية، النبي قال: (لا صفر) (لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر)، أنكر قولهم وتشاؤمهم بصفر، قال: (لا عدوى، ولا طيرة)، العدوى الاعتقاد في العدوى والطيرة والهامة وصفر والتعلق بالأنواء أو بالغول كل هذا من أمر الجاهلية، ومن القوادح في الدين التي دون الكفر بالله في الجملة، ومن زعم أن هناك عدوى فهو باطل، ولكن الله جعل المخالطة للمرضى قد تكون سبباً لوجود المرض في الصحيح، ولكن ما تعدي بطبعها النبي عليه السلام لما قال: (لا عدوى) قال بعض العرب: يا رسول الله الإبل تكون في الرمال كأنها الظباء فإذا دخل الأجر أجربها، فقال: (من أعدى الأول؟)، أي من الذي أعدى بالجرّب الأول؟ الأمر بيد الله عز وجل إذا شاء أجربها بسبب هذا الجرّب، وإذا شاء لم يجربها، ولكنه قال: (لا يورد ممرض على مصح)، يعني لا تورد الإبل المريضة مع الإبل الصحيحة، هذه على حدة وهذه على حدة، من باب اتقاء الشر، والبعد عن أسباب الشر، وإلا فالأمر بيد الله، الأمور كلها بيد الله، لا يعدي شيء بطبعه بل إنما هو بيد الله {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} [التوبة: ٥١].

فالخلطة من أسباب وجود المرض فلا ينبغي الخلطة، الأجرّب لا

يخالط الصحيح، هكذا أمر الرسول ﷺ من باب الاتقاء، من باب الحذر من أسباب الشر، ولكن ما هو معناه أنه لازم إذا خالطه يعديه لا، قد يعدي وقد لا يعدي، والأمر بيد الله عز وجل ، ولهذا قال: فمن أعدى الأول؟.

والمقصود أن تشاؤم أهل الجاهلية بالعدوى أو بالتطير أو بالهامة، والهامة يقولون هي روح الميت كأنها طائر تكون حول قبره يتشاءمون بها وهذا باطل ما له أصل، روح الميت مرتھنة إما في الجنة وإما في النار، إن كان طيباً فهو في الجنة روحه، وإن كان خبيثاً فهو في النار، نسأل الله العافية.

إذا كان أهل الجاهلية يعتقدون في بعض الشُّهور الاعتقادات الباطلة؛ بسبب جهلهم وبعدهم عن الهدى النبوي، فما بال فئام من أمة محمد - صَلَّى الله عليه وسلَّم - تأبى إلا التشبُّه بأهل الجاهلية والحذو حذوهم في بعض بدعهم واعتقاداتهم؟! فهناك من يتشاءم من زيارة المرضى في بعض أيام هذا الشهر، وطائفة تمنع إقامة حفلات النِّكاح في هذا الشهر؛ تمسكاً بما عليه أهل الجاهلية من التشاؤم، وفئة ثالثة تجتمع في آخر أربعاء من شهر صفر بين العشائين في المساجد، يتحلّقون ويكتب لهم على أوراق آيات السلام السبعة على الأنبياء، كقوله - تعالى -: ﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: ٧٩]... إلخ، ثم توضع تلك الأوراق في أواني، فيشربون ماءها ثم يتهادون بها إلى البيوت؛

لاعتقادهم أنَّ هذا الفعل يذهب الشرور والمصائب التي تنزل في هذا الشهر، وهذا لا شكَّ أنه اعتقاد فاسد، وتشاؤم مذموم، وابتداع قبيح، يَجِب أن ينكره كلُّ من يراه على فاعله.

وإنَّ من البدع المنتشرة في هذا الشَّهر - وخاصَّة في بعض الأقطار الإسلامية - اعتقاد أن آخر يوم أربعاء من شهر صفر ينزل الله - سبحانه - فيه آلاف البليَّات والكوارث، حتى يكون ذلك اليوم أصعب أيام السنة وأشدها، وعلى من أراد الخلاص من شرور ذلك اليوم أن يصلي لله - تعالى - أربع ركعات بصفة مُعينة، ثم يختم صلاته بدعاء معين ومنه: اللهم اكفني شرَّ هذا اليوم، وما ينزل فيه يا كافي المهمات، ويا دافع البليَّات، ولقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن هذه الصلاة وتوابعها، فأجابت: إن هذه النافلة المذكورة في السؤال لا نعلم لها أصلاً، لا من الكتاب ولا من السنة، ولم يثبت أن أحداً من سلف هذه الأمة وصاحي خَلَفِها عمل بهذه النافلة، بل هي بدعة مُنكرة، وقد ثبت عن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - أنه قال: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد))، وقال أيضاً - عليه الصلاة والسلام -: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))، ومَن نسب هذه الصلاة وما ذكر معها إلى النبي - صَلَّى الله عليه وسلَّم - أو إلى أحد من الصحابة - رضي الله عنهم - فقد أعظم الفرية، وعليه من الله ما يستحق من عقوبة الكذَّابين.

لا يفتأ أهل الجاهليّة وأتباعهم أن يوجدوا لمعتقداتهم ما يثبت صحّتها، ويشهد لها، فابتدعوا أحاديث ونصوصاً نسبوها إلى النّبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - وهو منها بَرَاء، كلُّ ذلك لأجل البرهنة على أعمالهم والاستشهاد لها، ومن ذلك: ما يُروى عن النّبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - أنه قال: "من بشرني بخروج صفر، بشرته بالجنة"، وكذلك حديث: "يكون صوت في صفر، ثم تتنازع القبائل في شهر ربيع، ثم العجب العجاب بين جمادى ورجب"، فهذان الحديثان وغيرهما كثير من الأحاديث الموضوعة المكذوبة على النّبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - فيجب الحذر منها ومن نشرها بين الناس.

ثم إن بعض الناس من باب مُخالفة أهل الجاهليّة في تشاؤمهم بشهر صفر يؤرخ فيقول: نحن في شهر صفر الخير، وهذا الفعل يدخل في باب مدافعة البدعة بالبدعة، كما يقول العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - لأنّ هذا الشهر ليس شهر خير ولا شر، ولهذا أنكر بعض السّلف على من إذا سمع البومة تنعق قال: خيراً إن شاء الله، فلا يقال: خير ولا شر، بل هي تنعق كبقية الطيور.

وإنّ التشاؤم بالأزمة أو بالأشهر أو ببعض الأيام أمرٌ يبطله الإسلام؛ لما فيه من الظنّ السيّئ بالرب - سبحانه - ولما فيه من الاعتقاد الباطل الذي لا ينبني على دليل أو برهان، وهذا التشاؤم في هذا الشّهر أو غيره من جنس الطيرة التي نهى عنها - صَلَّى الله عليه وسلّم - فقال: ((لا

عَدَوِي وَلَا طَيْرَةَ...))، وفي الحديث الآخر: ((الطَّيْرَةُ شَرْكَ، الطَّيْرَةُ شَرْكَ، الطَّيْرَةُ شَرْكَ، الطَّيْرَةُ شَرْكَ، وما مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ))؛ رواه أبو داود واللفظ له، وجعل آخره من كلام ابن مسعود - رضي الله عنه.

يوم الهجرة .. تصحيح مفاهيم

لماذا يبدأ التقويم الهجري بالمحرم مع أن الهجرة كانت في ربيع الأول؟ حقيقة يجهلها كثير من المسلمين

يظن كثير من الناس أن ابتداء السنة الهجرية بشهر الله المحرم يعني أن هجرة النبي ﷺ وقعت في هذا الشهر، وهذا غير صحيح؛ فإن الهجرة النبوية المباركة وقعت في شهر ربيع الأول، ومع ذلك جعل الصحابة رضي الله عنهم المحرم أول السنة الهجرية، فكيف ذلك؟ إن معرفة هذه المسألة تزيد المسلم تعظيمًا لتاريخ أمته، وتبين له دقة الصحابة رضي الله عنهم في ترتيب أمور المسلمين.

متى وقعت الهجرة؟

ثبت في السيرة النبوية أن النبي ﷺ خرج من مكة بعد أن مكث في غار ثور ثلاث ليال، ثم دخل المدينة في شهر ربيع الأول، ولذلك لم تقع الهجرة في المحرم كما يظنه بعض الناس. ولهذا فإن ابتداء السنة الهجرية بالمحرم لا يعني أن الهجرة حدثت فيه.

متى وُضع التقويم الهجري؟

في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، اتسعت دولة الإسلام، واحتاج المسلمون إلى تاريخ يرجعون إليه في المكاتبات والوثائق.

فجمع عمر رضي الله عنه الصحابة واستشارهم، فتشاوروا في الحدث الذي يجعلونه مبدأً للتاريخ الإسلامي، ف قيل: من مولد النبي ﷺ، وقيل: من بعثته، وقيل: من وفاته، ثم استقر رأيهم على أن تكون الهجرة النبوية هي بداية التاريخ الإسلامي؛ لأنها كانت الحد الفاصل بين مرحلة الاستضعاف وقيام دولة الإسلام.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ”وجعلوا ابتداء التاريخ من سنة الهجرة؛ لأنها فرقت بين الحق والباطل.“

لماذا اختير المحرم أولاً للسنة؟

هنا يقع الإشكال؛ إذ إن الهجرة كانت في ربيع الأول، فلماذا لم تبدأ السنة به؟ والجواب: أنه لا يوجد حديث عن النبي ﷺ، ولا أثر ثابت عن الصحابة يبين سبب اختيار المحرم نصًّا، وإنما ذكر أهل العلم حكماً واجتهادات في ذلك، من أشهرها:

أولاً: أن المحرم أول شهور السنة عند العرب.

ثانيًا: أن المحرم يأتي عقب موسم الحج، وهو ختام أركان الإسلام العملية في العام، فكان مناسباً لابتداء سنة جديدة.

ثالثًا: أن العزم على الهجرة وبيعة العقبة الثانية كانا في ذي الحجة، ثم كان أول شهر يلي ذلك هو المحرم، فكان بداية التنفيذ العملي للهجرة

بدأت بدخول المحرم، وإن كان الخروج الفعلي من مكة وقع في ربيع الأول.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وكان ابتداء العزم على الهجرة في المحرم، فناسب أن يجعل مبتدأ التاريخ منه." فهذه حكمة ذكرها أهل العلم، وليست نصًا مرويًا عن الصحابة.

هل لأول السنة الهجرية عبادات خاصة؟

ومن الأخطاء المنتشرة أن يظن بعض الناس أن أول السنة الهجرية موسم تعبدي خاص، فيخصصونه بأذكار أو صلوات أو أدعية أو احتفالات.

ولم يثبت عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم، أنهم خصوا أول السنة بشيء من ذلك. قال رسول الله ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد." متفق عليه.

فالأصل في العبادات التوقيف، فلا يشرع منها إلا ما دل عليه الدليل. أما شهر الله المحرم فقد ثبتت فضيلته في السنة الصحيحة. قال النبي ﷺ: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم." رواه مسلم.

وثبت أيضًا فضل صيام عاشوراء، فقال ﷺ: "أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله." رواه مسلم.

فهذه هي السنن المشروعة المتعلقة بالمحرم، لا ما أحدثه الناس من احتفالات أو عبادات لم تثبت.

[وقفة]

إن اختيار الصحابة للهجرة بدايةً للتاريخ الإسلامي يحمل رسالة عظيمة؛ فالهجرة لم تكن انتقالًا جغرافيًا فحسب، بل كانت انتقالًا من الضعف إلى القوة، ومن الاستضعاف إلى إقامة دين الله، ومن ضيق الأرض إلى سعتها بطاعة الله. ولهذا بقيت الهجرة حدثًا خالدًا تستحق أن تؤرخ به الأمة، وإن لم تقع في أول شهر من السنة.

الدليل على أن الهجرة كانت في شهر ربيع الأول في الحقيقة أقوى من مجرد قول المؤرخين؛ لأن الأحاديث الصحيحة نفسها تدل على ذلك عند جمعها.

أهم الأدلة هي:

أولاً: حديث خروج النبي ﷺ من مكة

ثبت في صحيح البخاري عن عائشة بنت أبي بكر في قصة الهجرة أن النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه مكثا في غار ثور ثلاث ليالٍ، ثم خرجا إلى المدينة. وهذا الحديث هو أصل قصة الهجرة.

ثانيًا: الدليل القاطع من حديث وفاة النبي ﷺ

ثبت في صحيح البخاري عن عائشة بنت أبي بكر أنها قالت: "تُوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة."

وثبت أيضًا في البخاري أنها قالت: "قدم رسول الله ﷺ المدينة ولي وأنا بنت ست سنين... ومكث تسع سنين."

ومعلوم يقينًا أن وفاة النبي ﷺ كانت في ربيع الأول، فإذا كان قد مكث في المدينة تسع سنوات كاملة، فهذا يدل على أن قدومه المدينة كان أيضًا في ربيع الأول. وهذا من أقوى الأدلة؛ لأنه مبني على حديثين صحيحين.

ثالثًا: اتفاق أهل السيرة

قال الإمام ابن كثير في البداية والنهاية: "وكان قدومه المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول."

وقال ابن القيم في زاد المعاد: "خرج من الغار... حتى دخل المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول."

وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: "كان قدومه المدينة في شهر ربيع الأول." فهذا هو الذي عليه جمهور أهل الحديث والسيرة.

رابعًا: لماذا وقع الوهم عند بعض الناس؟

لأن الصحابة رضي الله عنهم جعلوا أول السنة الهجرية شهر المحرم عندما وضعوا التقويم في خلافة عمر رضي الله عنه، فظن بعض الناس أن الهجرة نفسها كانت في المحرم، وهذا غير لازم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ”جعلوا أول السنة من المحرم؛ لأن ابتداء العزم على الهجرة كان فيه، وإن كان وقوع الهجرة في ربيع الأول.“
من ادعى أن الهجرة وقعت في المحرم، فليأت دليل صحيح صريح.
أما الذي عليه:

- الأحاديث الصحيحة.
- وأئمة الحديث.
- وأئمة السيرة.

فهو أن خروج النبي ﷺ من مكة، ووصوله إلى المدينة، كان في شهر ربيع الأول، وإنما بدأ التقويم الهجري بالمحرم باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم، لا لأن الهجرة وقعت فيه.

وهذا هو القول الذي استقر عليه جمهور أهل العلم، ولا يعرف خلاف معتبر في أن وصول النبي ﷺ إلى المدينة كان في ربيع الأول، وإنما وقع الخلاف في تحديد اليوم من الشهر، لا في أصل الشهر نفسه.



صفحات من السيرة النبوية

الهجرة في سبيل الله لم تَكُنْ بالشَّيء اليسير؛ فالهجرة هي مغادرة أرض ترعرعت وكبرت فيها، نشأ بينهم واشتهر بالصادق الأمين، ولكن من أن أنبلج فجر الإسلام انهالت عليه وابل من التهم والشتائم الدنيئة، بأبي وأمي يا رسول الله ﷺ.

قالها منذ أن بدأ ضوء الإسلام يتسلل: "ليتني كُنت جدًّا حين يخرجك قومك". كان ورقة بن نوفل رحمه الله على علمٍ أنَّ هذا الطريق لم يترك نبي جاء بالحق إلا عوزي، وقد جاء اليوم الذي خرج فيه ﷺ من مكة، متخفي عن أعين الناس، ينام في غار صغير لا يتسع لأثنين، ولكنه اتسع لثاني اثنين برفقه النبي ﷺ، بين صحراء مكة، وأيام قضاها في الغار إلى المدينة المنورة واشرقت الأنوار بوجوده ﷺ.

صبر بأبي وأمي ﷺ على أذى قريش؛ من أهله ومن كبار قريش، كيف ذلك وهو الذي كان يُعرف بالصادق الأمين إلى الكذاب الساحر، تحمل الأذى في مكة؛ لم يتركوه ينشر الإسلام بأمان، بل استخدموا جميع وسائل الشتائم والاستهزاء، رموه بالحجارة ﷺ حين ذهب إلى الطائف، وعاد إلى مكة حزين القلب، وعلى أملٍ أن يخرج من أصلاهم من يعبد الله، ويشهد أنه لا إله إلا الله، وأنَّ محمد رسول الله ﷺ.

حمل جعبته وهاجر في سبيل بعد إن لقي من أرضه أصنافٍ شتى من الإنكار والاستهزاء وخرج بمفرده ﷺ برفقة صاحبه؛ فالهجرة تحتاج إلى

رفيق يعنك على الطريق، يقف معك حين يخذلك الجميع، يحميك بظله من حرارة الشمس ويلتقفها هو دونك، يا الله أيُّ صحبة كانت تجمعهما !

غاصت أقدامه في المدينة، وكشرت نواجذه عن ابتسامة بيضاء قال أنس رضي الله عنه: يوم دخل النبي ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء؛ كان النور للمدينة، رحب الصغار والكبار به، أراد الجميع الترحيب به في منزله بأبي وأمي ﷺ ولكن ما إن لبث بالشيء اليسير حتى بدأ المنافقون يحيكون مكائدهم للكيد برسول الله ﷺ، وبدأت الغزوات واحدة تلو الأخرى، بين فراق للديار، وغزوات لا تُحصى، واستشهاد الأحباب ظلَّ ﷺ محسن الظن بالله ومتوكل عليه تمام اليقين.

لقد صبر ﷺ وذاق من الحياة علقمها، وتساقطت دمعاته، وشجَّ الدم من رأسه، فقد ابنائه واحدًا تلو الآخر وتبعه بناته، خرج مهاجرًا تاركًا أرضه الذي وضع عليها أنامله الأولى وخطوات اليتيم بأبي وأمي ﷺ ومع ذلك صبر وتوكل على الله، وحين خُير ﷺ اختار الرفيق الأعلى صلَّ الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

A photograph of a vast field of red poppies and yellow wildflowers. The flowers are in full bloom, scattered across a green field. In the background, there are dark, leafy trees. The sky is a pale, hazy blue. The overall mood is peaceful and natural.

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ومواقفها في الهجرة

◀ على خطى الصحابيات

عند الحديث عن الهجرة النبوية المباركة، تتجه الأنظار إلى رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، غير أن أحداث الهجرة تزخر بمواقف مشرقة لرجال ونساء كان لهم دور بارز في نصرته الإسلام والمساهمة في هذا الحدث التاريخي العظيم. ومن أبرز هذه الشخصيات أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، التي اشتهرت بلقب "ذات النطاقين".

نشأت أسماء رضي الله عنها في بيتٍ عُرف بالإيمان والصدق، فهي ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أول الرجال إيمانًا برسول الله ﷺ من هذه الأمة. وقد تلقت تربية إيمانية راسخة غرست فيها معاني اليقين والثبات والتضحية، فانعكست هذه القيم في مواقفها المشرفة عبر مراحل حياتها.

وعندما أذن الله تعالى لنبيه ﷺ بالهجرة إلى المدينة المنورة، اضطلعت أسماء رضي الله عنها بدور مهم في خدمة رسول الله ﷺ ووالدها أثناء إقامتهما في غار ثور، حيث كانت تتولى إعداد الطعام وتوفير ما يحتاجان إليه، مؤديةً هذه المهمة بإخلاص واحتساب.

وتذكر كتب السيرة أنها حين أرادت تجهيز الزاد لرسول الله ﷺ وأبيها، لم تجد ما تربط به السفرة والقربة، فقامت بشق نطاقها إلى نصفين، فربطت بأحدهما السفرة وبالأخر القربة، فلقبها رسول الله

بـ“ ذات النطاقين“، وهو لقب أصبح رمزًا لمبادرتها وحسن تديرها صلى الله عليه وسلم وحرصها على خدمة الدين.

ولم يقتصر دور أسماء رضي الله عنها على تقديم الدعم والخدمة، بل تجلت في شخصيتها معاني الثبات وقوة الإيمان. فعندما جاء أبو جهل إلى منزل أبي بكر رضي الله عنه يسأل عنه بعد خروجه مع النبي صلى الله عليه وسلم، امتنعت عن الإفصاح عن مكانهما حفاظًا على السر الذي أوثمت عليه، رغم ما تعرضت له من أذى، فظلت ثابتة على موقفها ولم تفش سرًا.

ومن المواقف الدالة على رجاحة عقلها وقوة توكلها على الله، ما حدث عندما دخل جدها أبو قحافة، وكان قد فقد بصره، على أبناء أبي بكر بعد الهجرة، وظن أن أبا بكر لم يترك لهم ما يكفيهم من المال. فأرادت أسماء أن تطمئنه، فوضعت أحجارًا في موضع المال وغطتها بثوب، ثم جعلته يلمسها، فظن أن أبا بكر قد ترك لأهله ما يحتاجون إليه، فاطمأن قلبه.

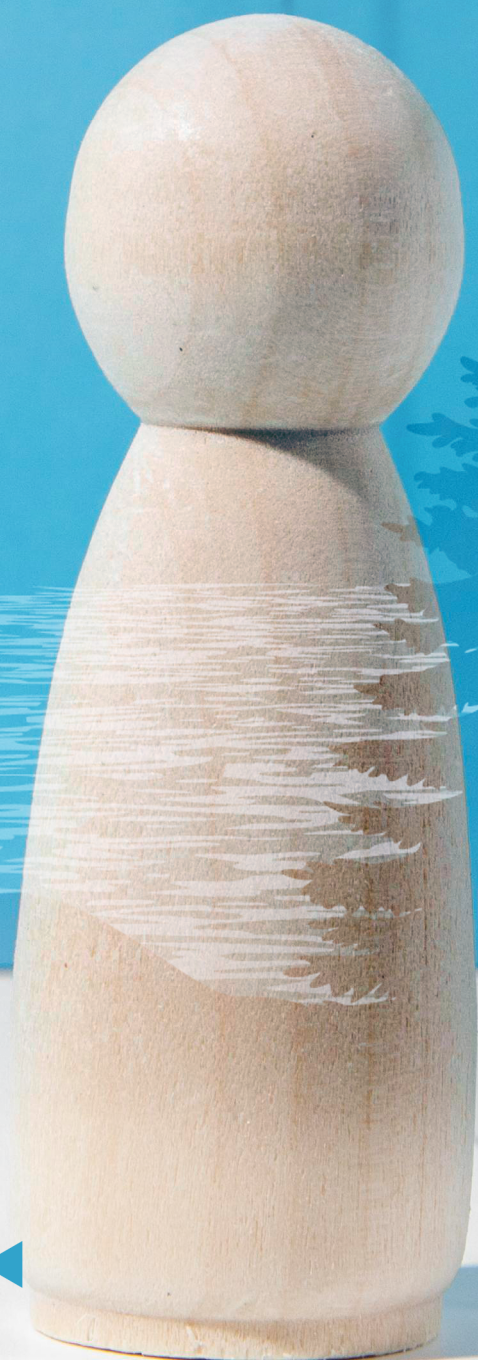
وتبرز سيرة أسماء رضي الله عنها أهمية الأعمال الصادقة التي قد لا تكون ظاهرة للناس، لكنها تترك أثرًا عظيمًا في خدمة الحق ونصرة الدين. فقد أدت دورًا مؤثرًا في مرحلة دقيقة من مراحل الدعوة الإسلامية، دون أن تنتظر ثناءً أو تقديرًا، وإنما ابتغاء مرضاة الله تعالى.

كما تؤكد سيرتها أن المرأة المسلمة شريك أساسي في بناء المجتمع وخدمة دينها، من خلال دورها في الأسرة والتربية والعمل الصالح. وقد كانت أسماء رضي الله عنها نموذجًا مشرفًا للمرأة المؤمنة؛ ابنةً صالحة، وزوجةً مؤمنة، وأمًّا لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، الذي ربه على معاني العزة والشجاعة والتمسك بالحق.

وفي ظل ما يواجهه المسلمون من تحديات ومتغيرات، تبقى سيرة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها مصدر إلهام يرسخ معاني الإيمان واليقين والثبات. فهي تعلمنا أن نصره الدين تتحقق بالعمل الصادق والصبر وتحمل المسؤولية، وأن الإيمان الراسخ يهون معه تحمل المشاق في سبيل الله.

رضي الله عن أسماء بنت أبي بكر، فقد قدمت للأمة نموذجًا خالداً للمرأة المؤمنة التي جمعت بين قوة الإيمان وصدق اليقين وحسن العمل، فاستحقت أن يبقى ذكرها حاضرًا في صفحات التاريخ الإسلامي المشرق، وأن تظل سيرتها نبراسًا تهتدي به الأجيال جيلاً بعد جيل.

محاسبة النفس عند مطلع العام الجديد



ليس في تبدّل الأعوام ما يغيّر حقيقة الزمن بقدر ما يكشفه: أن الإنسان يتحرك داخله بسرعة لا يشعر بها، وأن ما يظنه "قريبًا" صار خلفه، وما يؤجله قد لا يلحقه أصلًا. وفي هذا التبدّل الصامت، لا يحتاج المرء إلى خطاب عاطفي بقدر ما يحتاج إلى وقفة فاحصة مع ذاته، بلا تزيين ولا تهويل.

محاسبة النفس هنا ليست طقسًا موسميًا، ولا حالة وجدانية عابرة، بل هي ممارسة عقلية-إيمانية لضبط اتجاه السلوك قبل أن تتراكم الانحرافات الصغيرة حتى تصبح مسارًا كاملاً.

ما الذي يحدث فعليًا عند نهاية عام وبداية آخر؟

العام لا "ينتهي" فجأة في داخل الإنسان، بل ينزلق تدريجيًا. المشكل ليس في الزمن، بل في الإدراك: بعض الخسائر لا تُلاحظ إلا متأخرة وبعض التراكُمات لا تُرى إلا عند المقارنة وبعض الانحرافات تبدأ صغيرة جدًا ثم تُصبح نمطًا لذلك، مطلع العام هو لحظة "إعادة قراءة" لا لحظة احتفال فقط.

محاسبة النفس: ليست شعورًا بل منهج تفكير

كثيرون يظنون أن محاسبة النفس هي شعور بالندم أو تأنيب داخلي، لكنها في حقيقتها أقرب إلى تحليل سلوك:

- ماذا كنت أفعل بكثرة خلال العام؟
- ماذا قلّ في حياتي دون أن أشعر؟
- أين كان تركيزي الحقيقي، لا ما أزعمه لنفسه؟

هذه الأسئلة تخرج الإنسان من التبرير إلى التقييم، ومن الانطباع إلى الحقيقة.

أخطر ما في النفس: التكيف مع التقصير

من أخطر ما يواجه الإنسان أنه لا يسقط فجأة، بل يتعوّد:

- يتعوّد على تأجيل الطاعة
- يتعوّد على تكرار الخطأ
- يتعوّد على فقدان الحسّ بالذنب

وهنا تصبح المحاسبة ضرورة لا خيارًا، لأنها تكسر هذا ”التطبيع الداخلي“ مع النقص.

مقياس المحاسبة ليس الآخرين

أحد أكثر الأخطاء شيوعًا في تقييم النفس هو القياس الخارجي:

- ”أنا أفضل من فلان“
- ”أنا لست سيئًا مثل غيري“

لكن معيار المحاسبة في المنظور الشرعي والسلوكي ليس الناس، بل:

- ما الذي تغيّر في علاقتي بالله؟
- هل زاد وعي أم قلّ؟
- هل أصبحت أضبط نفسي أكثر أم أقلّ؟

المقارنة الحقيقية ليست أفقية بين الناس، بل عمودية بين الأمس واليوم.

التغيير الحقيقي لا يبدأ بالنية وحدها

كثير من نوايا التغيير تفشل لأنها تبقى في مستوى الشعور. المحاسبة الصادقة تُترجم إلى:

- قرار بوقف عادة محددة
- أو تقليل سلوك متكرر
- أو إدخال عبادة ثابتة ولو بسيطة
- فالتغيير لا يُقاس بحجم الشعور، بل بثبات الخطوة التالية.

مطلع العام ليس حدثًا خارج الإنسان، بل فرصة لإعادة ترتيب الداخل. والذين ينجحون في عبور السنوات ليسوا الأكثر انشغالًا بالزمن، بل الأكثر صدقًا في مراجعة أنفسهم. فحين تُراجع نفسك بصدق، لا تحتاج أن تخاف من مرور العام، لأنك أصلًا لست واقفًا في مكانك.



موقف السلف من البدع الموسمية والمحدثات

إنَّ المسلمين اليوم في أشد الحاجة إلى التمسك بالسنة، وإحيائها في الناس، والنهي عن البدع وإنكارها وإماتتها، وقد حذر السلف الصالح منها أيَّما تحذير، قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر". وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: "كلُّ بدعةٍ ضلالة، وإنْ رآها الناس حسنة".

وقال مجاهد -رحمه الله- في قوله -تعالى-: (ولا تتبعوا السبل) قال: "البدع والشبهات". وقال حسان بن عطية -رحمه الله-: "ما ابتدع قومٌ بدعةً في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة"، وقال الإمام مالك -رحمه الله-: "بئس القوم هؤلاء أهل الأهواء لا يسلم عليهم"، وقال الإمام أحمد: "إذا سلم الرجل على المبتدع فهو يحبه" وقال البيهقي: "كان الشافعي -رحمه الله- شديداً على أهل الإلحاد وأهل البدع، مجاهراً ببغضهم وهجرهم".

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ -رحمه الله- عن أهل البدع: "من السنن المأثورة عن سلف الأمة وأئمتها وعن إمام السنة أحمد بن حنبل التشديد في هجرهم وإهمالهم وترك جدالهم واطراح كلامهم، والتباعد عنهم حسب الإمكان، والتقرب إلى الله بمقتهم وذمهم وعيبيهم".

وفي رواية ابن المبارك: فوالله لئن استقمتم؛ لقد سبقتم سبقاً بعيداً.

الحديث، وعنه أيضا: ” أخوف ما أخاف على الناس اثنتان : أن يؤثروا ما يرون على ما يعملون ، وأن يضلوا وهم لا يشعرون ” . قال سفيان : وهو صاحب البدعة، وعنه أيضا : أنه أخذ حجرين ، فوضع أحدهما على الآخر ، ثم قال لأصحابه : ” هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ” ؟ قالوا : يا أبا عبد الله ، ما نرى بينهما من النور إلا قليلا .

قال : ” والذي نفسي بيده؛ لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور ، والله لتفشون البدع حتى إذا ترك منها شيء؛ قالوا : تركت السنة ” .

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في هذا الشأن: ”ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإن بيان حالهم، وتحذير الأمة منهم، واجب باتفاق المسلمين.

حتى قيل لأحمد بن حنبل -رحمه الله-: ”الرجل يصوم، ويصلي، ويعتكف -يعني النوافل الصلاة والصيام والاعتكاف- أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع“؟- طبعاً- يتكلم بحق، لا يبدع الأبرياء، أو يبدع أهل السنة، إنما يبدع من يدعو إلى الدين، يحتسب في الكلام على أهل البدع من الخوارج، والمرجئة، والقدرية، والذين يقدمون الرأي على الوحي، ونحو ذلك؛ من الرافضة.

قيل لأحمد بن حنبل -رحمه الله-: ”الرجل يصوم، ويصلي، ويعتكف

أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ قال: ”إذا قام وصلى واعتكف، فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع، فإنما هو للمسلمين؛ هذا أفضل.“

يقول ابن تيمية عن كلام أحمد: ”فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم، من جنس الجهاد.“ [مجموع الفتاوى: ٢٨/٢٣١] جهاد اللسان، والبيان، والحجة.

وخلاصةً موقف السلف الصالح من البدع الموسمية والمحدثات أنهم كانوا أشدَّ الناس تمسُّكًا بالسنة، وأعظمهم تحذيرًا من كل ما أحدث في الدين ممَّا لم يأذن به الله، سواءً في الاعتقاد أو العبادة أو المواسم والشعائر. وقد رأوا أن الخير كله في الاتباع، والشر كله في الابتداع، وأن البدعة لا تأتي إلا على حساب السنة، فثُميت من معالمها بقدر ما تُحييه من الضلالة. ولذلك شدّدوا في إنكار البدع، والتحذير من أهلها، وبيان خطرهما على الدين والأمة، حفظًا للشريعة من التحريف، وصيانةً للناس من الانحراف. فطريق النجاة هو لزوم ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والوقوف عند حدود الوحي، دون زيادة أو نقص أو استحسانٍ محدث؛ إذ لا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها.



النجاة في لزوم السنة ولزوم جماعة المسلمين

قال الله تعالى في محكم آياته: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجنابية: ١٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وفي سنن أبي داود وغيره: (عَنْ الْعِزْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَّظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُّوَدِّعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَن يَعْشُ مِنْكُمْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَخُذُوا الْأُمُورَ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)، وفي الموطأ للإمام مالك بسند صحيح: (عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ.

إن أمة الإسلام اليوم بحاجة ماسة إلى العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بعد أن أصبحت الأمة غرضاً للسئام، وطعمة للئام، وعبثاً للأقزام، فاستُحلت المقدسات، وتُحكمت في كثير من المقدرات؛ وتخلي كثير من أبناء المسلمين عن عقيدتهم، وتأثروا

بقبيح شعاراتهم البراقة، فليعلم هؤلاء أن المُتَّبِع لهُدَى رَبِّهِ هو السعيدُ حَقًّا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: (اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) [طه: ١٢٣]، وأما المُعْرِض عن هدى ربه، بمخالفة أمره وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وبالأخذ من غيره، فعاقبة أمره خُسرًا، ومعيشته ضنكًا، قال الله تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) [طه: ١٢٤ - ١٢٦]. فلنروض أنفسنا على الاعتصام بالكتاب والسنة في كل الأمور: اعتقاداً، وقولاً، وعملاً، وسلوكاً وأخلاقاً، ولنحرص على إشاعتها وتعليمها والعمل بها، ودعوة الناس إليها، وتربية البيوت والأسر والنشء عليها، وفي صحيح مسلم: (عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ "، وفي رواية: " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ".

فالخير كل الخير في الاجتماع والتوحد، والرحمة كل الرحمة في السير على قلب رجل واحد، والشعور بأننا جسد واحد. قال النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو على المنبر: "الجماعة رحمة، والفرقة عذاب" صحيح الجامع. و"إِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ" صحيح سنن أبي داود.

وفي الختام، فإن النجاة في الدنيا والآخرة لا تكون إلا بالاعتصام بكتاب الله تعالى، ولزوم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولزوم جماعة المسلمين، والحذر من البدع والأهواء التي تُفَرِّق الأمة وتُضِلُّ عن سبيل الحق. فالسعيد من جعل الكتاب والسنة منهجًا لحياته، وتمسك بهما قولًا وعملاً واعتقادًا، وسار على نهج السلف الصالح. نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الحق، وأن يحيينا على السنة، ويميتنا عليها، وأن يجعلنا من أهلها الداعين إليها، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضل تعليم القرآن

بلغوا عني ◀

قال رسول الله ﷺ "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ. قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان، حتى كان الحجاج قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا." (١)

شرح الحديث

القرآن الكريم كلام الله المقدس، وفيه أحكامه وأوامره ونواهيه، ومواعظه، وغير ذلك من المعاني النفيسة التي تُستخرج بالتدبر والتعقل، والمسلم مُطالب بأن يقوم بذلك مع حفظ القرآن ومعرفة ألفاظه ومبانيه ومعانيه، وخير الأعمال وأنفعها للفرد والمجتمع هو تعلُّمه وتعليمه؛ فهو طريق الهداية والصَّلاح.

وفي هذا الحديث يُخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أفضل المسلمين وأرفعهم ذكرًا وأعلاهم عند الله درجة؛ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ؛ تلاوةً وحفظًا وترتيلًا، وتعلَّمَهُ؛ فقهًا وتفسيرًا، فأصبح عالمًا بمعانيه، فقيهًا في أحكامه، وعَلَّمَ غيره ما عنده من علوم القرآن مع عمله به، وإلا كان القرآن حُجَّةً عليه، وليس حُجَّةً له.

(١) الراوي: عثمان بن عفان، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٥٠٢٧، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخریج: أخرجه أبو داود (١٤٥٢) مختصراً والترمذي (٢٩٠٧) وأحمد (٤١٢) باختلاف يسير.

فَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ: مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَ الْقُرْآنَ.

قال سعد بن عُبَيْدة: وأقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ النَّاسَ -أي: جعل يعلمهم القرآن- في إمرة عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ إلى أن انتهى إقراؤه النَّاسَ إلى زَمَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوْسُفَ الثَّقَفِيِّ، وهي مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ، والذي حَمَلَهُ على ذلك هو الحديثُ الَّذِي حَدَّثَ بِهِ عُثْمَانُ فِي أَفْضَلِيَّةِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، وَأَقْعَدَهُ مَقْعَدَهُ هَذَا، وَأَشَارَ بِهِ إِلَى مَقْعَدِهِ الَّذِي كَانَ يُقِرُّ النَّاسَ فِيهِ. وقيل: إِنَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: "مَقْعَدِي هَذَا" المَقْعَدَ الرَّفِيعَ وَالْمَنْصَبَ الْجَلِيلَ الَّذِي حَصَلَ لَهُ مَعَ طُولِ الْمُدَّةِ بِرُكَّةٍ تَعْلِيمِهِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لِلنَّاسِ.

- وفي الحديث: بَيَانُ شَرَفِ الْقُرْآنِ وَفَضْلِ تَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ.
- وفيه: بَيَانُ فَضْلِ حَامِلِ الْقُرْآنِ وَمُعَلِّمِهِ، وَأَنَّهُ خَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُهُمْ نَفْعًا وَإِفَادَةً.

الحسابات بين السر والعلن أيُّ وجهٍ يلقي الله؟



أمر بالمعروف ◀

لم يعد الإنسان في هذا العصر يعيش عمرًا واحدًا، بل أصبح يعيش عمريْن؛ عمرًا يمشي به على الأرض، وعمرًا آخر يتركه خلفه على الشاشات. كلماتٌ وصورٌ ومقاطع ومواقف، تتراكم يومًا بعد يوم، حتى تصبح سجلًا ناطقًا يشهد له أو عليه.

والمؤلم أن كثيرًا من الناس باتوا يخشون انكشاف حقيقتهم أمام الخلق أكثر من خشيتهم من اطلاع الله عليهم. فإذا خلا أحدهم بمحارم الله انتهكها، وإذا وقف أمام الناس تجمل وتزين وأحسن العرض والإخراج. وكأن المشكلة ليست في الذنب نفسه، بل في أن يراه الناس.

لقد خلق الله العبد ليكون صادقًا معه قبل أن يكون مقبولًا عند الناس، وجعل أعظم مقامات الدين مقام الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه". فالمؤمن لا يسأل: ماذا سيقول المتابعون؟ بل يسأل: ماذا يرى الله مني الآن؟

وما وسائل التواصل اليوم إلا صورة مكبرة لحقيقة القلوب؛ فمن امتلأ قلبه بتعظيم الله جعل حسابه بابًا للخير، ومن امتلأ قلبه بحب الظهور والتصدر جعل حسابه مرآةً لنفسه وهواه. ولذلك لم تعد القضية مجرد منشورات وصور، بل قضية عبودية وصدق وإخلاص ومراقبة لله.

ومن أخطر ما ابتلي به الناس أن أصبح الفسق يُقدّم في ثيابٍ جديدة، ويُسوَّق بأسماء براقّة، ويُزيّن تحت شعارات الحرية والتعبير عن الذات وصناعة المحتوى. بل ربما رأيت من ينتسب إلى التدين والالتزام، ثم يفتح على الناس أبوابًا من الفتن ما كان ليفتحها أهل المجاهرة أنفسهم. فتجد المظهر يدعو إلى الاحتشام، بينما المحتوى يدعو إلى التعلق بالأشخاص، وتتبع الخصوصيات، وإثارة الإعجاب، ولفت الأنظار، وجمع المتابعين بأي وسيلة.

وهنا يجب أن تُقال كلمة الحق بوضوح: إن الحجاب عبادة، والنقاب عبادة، لكنهما ليسا حصانةً من الخطأ، ولا صكًا للاستقامة. فكما أن السفور معصية، فإن تحويل التدين إلى وسيلة للشهرة والظهور آفة أخرى لا تقل خطرًا على القلب. وقد كان السلف يخفون أعمالهم الصالحة كما يخفي الناس اليوم أموالهم النفيسة، خوفًا من فساد النية وضياع الإخلاص.

إن الحسابات ليست مجرد أدوات تواصل، بل منابر دعوة أو منابر فتنة. وكل متابع يقتدي، وكل معصية تُنشر، وكل شبهة تُبث، وكل شهوة تُزين، فإن لصاحبها نصيبًا من أوزار من تأثر بها. ورب كلمة كتبها صاحبها في دقائق، هوت به أو بغيره سنوات طويلة.

ولهذا فإن الأمر بالمعروف في زمننا لم يعد مقصورًا على المساجد

والمجالس، بل صار يبدأ من الهاتف الذي في يدك. فما الذي تدعو إليه؟ وما الذي تنشره؟ وما الصورة التي تقدمها عن دين الله؟ وهل إذا عُرض حسابك يوم القيامة أمام الخلائق سررت بما فيه أم استحييت منه؟

إن المؤمن لا يبحث عن حسابٍ يعجبه الناس، بل عن صحيفةٍ ترضيه عند الله. ولا يحرص على كثرة المتابعين بقدر حرصه على سلامة قلبه. ولا ينشغل بصناعة صورة جميلة لنفسه أمام الخلق، بل بإصلاح حقيقته بينه وبين ربه.

فإذا أقبل عليك عام جديد، فراجع حسابك قبل أن تراجع خططك، وفتش في منشوراتك قبل أن تفتش في ذكرياتك، واسأل نفسك سؤالاً واحداً: لو كان هذا الحساب آخر ما أتركه بعد موتي، فهل أرضى أن ألقى الله به؟

فإن أعظم النجاح ليس أن يعرفك الناس، بل أن يعرف الله منك الصدق. وأعظم الخسارة ليست أن تسقط من أعين الخلق، بل أن تسقط من عين ربك وأنت لا تشعر.

الرقية الشرعية بين الحقيقة والضلال

◀ نهى عن المنكر

حين يصبح الخوف من المرض أعظم من الخوف من الانحراف عن
الوحي

ما من مبتلى إلا ويعرف قسوة الألم حين يطول، ولا يعرف أحدٌ
مقدار حاجة المريض إلى الفرج إلا من ذاق مرارة البلاء. ولكن السؤال
الذي ينبغي أن يهز القلوب: ماذا لو كان الشيطان قد عجز عن إفساد
عقيدتك في زمن العافية، فجاءك من باب البلاء؟ وماذا لو كان المرض
الذي تخافه أهون عند الله من انحراف يسير في التوحيد أو الاتباع؟

إن كثيرًا من الناس إذا أصابهم المرض أو العين أو السحر اضطربت
قلوبهم، وتعلقت بكل سبب، وأصغت لكل ناعق، وفتحت أبوابها
لكل مدعٍ. وهنا يبدأ الامتحان الحقيقي: هل ستبقى عبدًا للوحي أم
ستصبح عبدًا للخوف؟

لقد أكمل الله هذا الدين قبل أن نموت بأربعة عشر قرنًا، وأتم
النعمة، وبَيَّن لعباده سبيل النجاة بيانًا لا يحتاج معه المؤمن إلى زيادة
من أحد. فهل يعقل أن يكون رسول الله ﷺ قد دل الأمة على كل ما
يقربها من الجنة ويباعد عنها النار، ثم يخفى عليه ما يدعيه بعض
الناس اليوم من أسرار وأعداد وطرق وخلوات وتجارب وأوراق وكتابات
لم يعرفها الصحابة ولا التابعون ولا أئمة الإسلام؟

إن القضية أكبر من مسألة رقية.

القضية: هل تؤمن حقًا أن هذا الدين كامل؟

فإن كنت تؤمن بذلك، فكيف تبحث عن أبواب لم يفتحها الوحي؟ وكيف تطمئن إلى أسباب لم يدل عليها رسول الله ﷺ؟ وكيف تسكن نفسك إلى أعمال لا تعرف لها مستندًا من كتاب الله ولا من سنة نبيه؟

إن القلب الموحد يخاف البدعة أكثر مما يخاف البلاء؛ لأن البلاء غايته أن يؤلم الجسد، أما البدعة فقد تفسد الدين. والمرض ينتهي بالموت، أما الانحراف عن الصراط المستقيم فقد يلقي العبد به ربه.

ولذلك كان السلف يخافون من المحدثات خوفًا عظيمًا؛ لأنهم كانوا يعلمون أن الشيطان قد يفرح بالبدعة أكثر مما يفرح بالمعصية، إذ العاصي يعلم أنه مذنب فيرجى له التوبة، أما المبتدع فيحسب أنه يحسن صنعًا.

واليوم امتلأت الساحات بأمور يرق لها القلب أول الأمر ثم يرتعد آخره: ماء قيل فيه ولم يُعلم قائله، أوراق كتبت بطلاسم لا تُفهم، أعداد خصصت بلا دليل، هيئات وطرق لم ترد عن النبي ﷺ، قصص ومنامات وتجارب قُدمت للناس وكأنها وحي منزل.

ثم يضيع السؤال العظيم: أين الدليل؟

ذلك السؤال الذي به نجا الصحابة، وبه نجا الأئمة، وبه نجا أهل السنة في كل عصر.

« إن المؤمن الصادق لا يسأل: هل نفع هذا فلانًا؟

« بل يسأل: هل شرعه الله؟

« ولا يسأل: كم من الناس يفعلونه؟

« بل يسأل: هل فعله رسول الله ﷺ وأصحابه؟

« ولا يسأل: هل جربوه؟

« بل يسأل: هل دل عليه الوحي؟

فالدين لا يبني على التجارب، ولا على المنامات، ولا على الأذواق، ولا على الحكايات المؤثرة، وإنما يبني على الوحي المعصوم.

يا عبد الله...

تأمل ذلك الموقف العظيم يوم تقف بين يدي الله وحدك، لا راقٍ ينفعك، ولا شيخ يدافع عنك، ولا جماعة تؤيدك، ويسألك ربك عن عملك واعتقادك. فهل يسرك حينها أن تقول: فعلت هذا لأن الناس

فعلوه؟ أم لأن فلانًا أشار به؟ أم لأنني وجدته منتشرًا بين المسلمين؟

أم النجاة أن تقول: يا رب، ما علمت خيرًا إلا اتبعته، وما علمت سنة إلا تمسكت بها، وما وجدت طريقًا لا دليل عليه إلا تركته خوفًا منك وتعظيمًا لأمرك؟

إن أعظم الرقي ليست تلك التي تعلق القلوب بالأشخاص، بل التي ترد القلوب إلى الله. وأعظم الشفاء ليس شفاء الأبدان، بل شفاء القلوب من التعلق بغير الوحي. وأعظم النجاة أن يخرج العبد من الدنيا وقد سلم له توحيده، وسلم له اتباعه، وسلم له دينه.

فاحذر كل طريق لم يمش فيه رسول الله ﷺ، ولو زين لك بالقصص والعبرات والكرامات. وتمسك بما ثبت عنه ﷺ، ولو رآه الناس قليلًا. فإن الحق لا يعرف بالكثرة، وإنما يعرف بالدليل.

وما أحوج المسلمين اليوم إلى قلوب ترتجف من البدعة أكثر مما ترتجف من البلاء، وتخاف رد العمل أكثر مما تخاف فوات المصلحة، وتوقن أن الخير كل الخير في كلمة واحدة:

اتبع ولا تبتدع، فقد كُفيت.



ليست كل الطاعات تُقال

وبعض العبادات يكتمل نورها بالكتمان

من أعظم ما يفسد على العبد صفاء عبادته أن تصبح أخبار طاعاته حديث المجالس، وأن يتحول ما بينه وبين ربه إلى مادة يتداولها الناس. فإذا نوى قيام الليل، أو عزم على صدقة، أو أراد الاعتكاف، أو وفقه الله لعمرة أو حج، فليس من الواجب أن يعلم الناس بذلك، بل قد يكون إخفاء العمل أسلم للقلب، وأحفظ للإخلاص، وأبعد عن الرياء والعُجب، وأقرب إلى القبول.

وليس معنى ذلك أن يكتُم الخير فلا يُرغَّب فيه، بل يحدث الناس عن فضل الطاعات وآثارها، دون أن يجعل نفسه نموذجًا يُشار إليه، أو عمله قصة تُروى.

أما العمرة، فقد أصبحت عند بعض الناس خبرًا يجب أن يُعلن، وسفرًا لا بد أن يُستأذن فيه، حتى إن من اختار أن يذهب في هدوء ويعود في هدوء، حفاظًا على خصوصية عبادته، وجد من يعاتبه، أو يلومه، أو يقاطعه، وكأنه ارتكب خطأ لأنه لم يجعل الناس شركاء في خبر سفره. وهذا من قلب الموازين. فالعمرة عبادة بين العبد وربّه، وليست مناسبة اجتماعية يُلام الإنسان إن لم يُعلنها، ولا يُطالب شرعًا أن يخبر أحدًا بها.

بل إن كثيرًا من الناس يُخفون سفرهم اتقاءً لكلام لا ينتهي؛ فهذا يقول: أما اعتمرت من قبل؟، وآخر يقول: الأموال أولى بها كذا وكذا،

وثالث يظن أن كثرة العمرة دليل كثرة المال، وهو لا يدري أن صاحبها ربما اقتطعها من قوت نفسه، وترك كثيرًا من المباحات، وصبر أشهرًا أو سنوات؛ ليقف ساعةً عند بيت الله. فليس كل من اعتمر غنيًا، وإنما هو عبدٌ وفقه الله، وفتح له بابًا حُرِّم منه غيره.

وليعلم كل من يُكثر اللوم أن الناس لا يعلمون ما في الصدور، ولا يعرفون ما بين العبد وربّه، فقد تكون تلك العمرة نجاةً لقلبٍ أثقلته الهموم، أو دمةً توبةً طال انتظارها، أو بدايةً رجوع صادق إلى الله، أو دعوةً يرفعها صاحبها عند الكعبة لا يعلمها إلا الله.

وما أجهل أن نتعلم أدب الإسلام في التعامل مع خصوصيات الناس؛ فلا نفتش عن أخبارهم، ولا نعاتبهم على ما لم يُكلّفوا بإعلانه، ولا نحملهم على أن يجعلوا عباداتهم منشوراتٍ يقرأها الجميع. فإن رزق الله أخاك طاعةً فادعُ له بالقبول، وإن فتح له بابًا من الخير فاسأل الله من فضله، ولا تجعل قلبك منشغلًا بما في أيدي الناس، بل بما ينفعك بين يدي الله.

فكم من عملٍ أخفاه صاحبه عن الخلق، فرفعه الله في السماء، وكم من عبادةٍ ضاعت برغبة صاحبها أن يراها الناس قبل أن يراها الله.

اللهم ارزقنا الإخلاص في السر والعلن، واجعل أعمالنا خالصةً لوجهك الكريم، ولا تجعل للناس فيها نصيبًا إلا الدعاء بالقبول.

احتفالات المدارس والتخرج

بين الفرح المشروع
والتكّلف المذموم

ليس الإسلام دينًا يمنع الفرح، ولا ينهى عن السرور بنجاح الأبناء والاجتهاد في تعليمهم، بل أباح الفرح المشروع، وربط النعم بشكر الله تعالى. قال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾. وكان النبي ﷺ يُظهر محبته لأهله، ويثني على من يستحق الثناء، فقال عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: ”إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.“ فالفرح بالنجاح، وتشجيع الأبناء، وإدخال السرور عليهم، أمور مشروعة إذا بقيت في حدود الاعتدال، وكانت باعثًا على شكر الله، لا على التفاخر والتكلف.

أما الذي يدعو إلى المراجعة اليوم، فهو ما آلت إليه كثير من حفلات التخرج والاحتفالات المدرسية من مبالغة في المظاهر، وإرهاق للأسر، وربط قيمة النجاح بما يصاحبه من حفلات وصور وزينة، حتى غاب المقصود، وبقيت القشور.

أولاً: لا تربطوا قيمة الإنجاز بالمظاهر

من أخطر الأخطاء التربوية أن ينشأ الأبناء وهم يعتقدون أن قيمة النجاح تُقاس بحجم الاحتفال، أو ثمن اللباس، أو كثرة الهدايا، لا بما بذلوه من جهد وما حصلوه من علم.

فالنجاح الحقيقي هو ثمرة الاجتهاد، أما الاحتفال فوسيلة، ولا يجوز

أن يتحول إلى غاية. ولهذا كان هدي النبي ﷺ إذا جاءه ما يسره أن يتوجه أولاً إلى الله شكرًا؛ فقد كان إذا أتاه أمر يسره خرَّ ساجدًا شكرًا لله. فما أحوج أبناءنا أن يتعلموا أن أول مظاهر الفرح: شكر المنعم، لا استعراض النعمة.

ثانيًا: ليس كل مناسبة تحتاج إلى احتفال كبير

ليس كل انتقال من صف إلى آخر إنجازًا استثنائيًا، ولا كل شهادة تستوجب قاعات فاخرة، وتكاليف باهظة، وتصويرًا ومظاهر تفوق قيمة المناسبة نفسها. بل من الحكمة أن تُجعل الاحتفالات المميزة للإنجازات المميزة، حتى يبقى للتميز معناه، ويظل الابن يتطلع إلى مراتب أعلى من النجاح. أما إذا اعتاد الاحتفال بكل مرحلة، فقد يضعف في نفسه الشعور بقيمة الإنجاز، وينتظر مظاهر التكريم أكثر مما ينتظر ثمرة العلم.

ثالثًا: التربية على القناعة لا على الترف

من أعظم مقاصد التربية الإسلامية بناء شخصية قوية، تعرف قيمة النعمة، ولا تتعلق بالكماليات. فالترف إذا أصبح أسلوب حياة، أورت ضعفًا في تحمل المشاق، وربّ النفوس على التعلق بالمظاهر أكثر من تعلقها بالحقائق.

ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ”أخشو شئنا، فإن النعم لا تدوم.“ وكان السلف يكرهون تعويد الأبناء على التوسع في أسباب الترف؛ لأن النفوس إذا ألفت النعيم ضعفت عن الصبر والمجاهدة. وليس المقصود حرمان الأبناء من المباح، وإنما تربيتهم على الاعتدال، حتى لا تصبح أفراحهم مرتبطة دائماً بالإسراف والمباهاة.

رابعًا: لا تجعلوا الفرح سببًا لإحراج الناس

من المؤسف أن بعض المدارس تجعل حفلات التخرج بابًا للمنافسة في المظاهر، فتفرض رسومًا مرتفعة، أو لباسًا خاصًا، أو متطلبات تثقل كاهل أولياء الأمور. وربما وقف بعض الآباء عاجزًا عن تلبية تلك المطالب، أو شعر بعض الطلاب بالحزن لأن ظروف أسرهم لا تسمح لهم بمجاراة غيرهم. وهذا يخالف مقاصد الشريعة في رفع الحرج، ومراعاة أحوال الناس، والتيسير عليهم.

رسالة إلى إدارات المدارس ومُلاكها

- اتقوا الله في أولياء الأمور، واجعلوا المدارس منارات للعلم والتربية، لا ميادين للمباهاة والمنافسة في المظاهر.
- وراعوا تفاوت أحوال الأسر، فلا تُحمّلوهم ما لا يطيقون، ولا تجعلوا أبناء الفقراء يشعرون بالنقص بسبب أمور لا تزيدهم علمًا ولا خلقًا.

- واجعلوا الاحتفال وسيلة لغرس معاني الشكر والاجتهاد، وتعظيم العلم، وحب التفوق، لا وسيلة لاستهلاك الأموال وإشغال الناس بما لا ينفع.

رسالة إلى الآباء والأمهات

- ازرعوا في قلوب أبنائكم أن قيمة الإنسان فيما يحمله من إيمان، وعلم، وخلق، لا فيما يلبسه في يوم التخرج، ولا في حجم الحفل الذي يُقام له.
- علّموهم أن النجاح نعمة تستوجب شكر الله، وأن كل مرحلة من مراحل الحياة هي بداية لما بعدها، لا نهاية الطريق.
- فالأمة لا تحتاج إلى جيلٍ جيد الاحتفال بالنجاح، بقدر ما تحتاج إلى جيلٍ يحسن صناعة النجاح، ويحمل العلم بأمانة، ويستعمله في طاعة الله ونفع الناس.
- ربّوا أبناءكم على قيمة الإنجاز، لا على كثرة الاحتفال، وعلى شكر النعمة، لا على استعراضها، فإن البركة في البساطة، والخير في الاعتدال، وأبقى الأفراح ما كان موصولاً بطاعة الله وشكره. ليس الخطر أن يفرح أبنائنا، فالفرح نعمة، وإنما الخطر أن نربيهم على أن قيمة الإنسان فيما يُقام له، لا فيما يقدمه، وفيما يلبسه، لا فيما يحمله من علم وخلق.

إن المدارس تُخْرِج طلابًا، لكن التربية تُخْرِج رجالًا ونساءً يحملون رسالة. فإذا عظم في نفوس أبنائنا معنى العلم، هانت عليهم المظاهر، وإذا عظم شأن المظاهر، صغر في نفوسهم معنى العلم.

فلنجعل يوم التخرج محطة شكرٍ لله، وبدايةً لمسيرةٍ جديدة من الجد والاجتهاد، لا موسمًا للإسراف والتكلف والتفاخر. قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، فكان أعظم ما يُقال بعد كل شهادة: اللهم زدنا علمًا، وعملاً، وإخلاصًا، وثباتًا.

حين نفقد أسباب النصر

لا نطلبه من السماء بلسانٍ يناقض الواقع

كلماتٌ قليلة، لكنها تحمل ثِقْلَ أمة: قتلٌ وخطفٌ، وخمورٌ ومخدرات، وعلاقاتٌ محرمة وزنا وفجور، وسفورٌ واختلاط... مشاهد ليست في كتب التاريخ، بل في واقع يُرى ويُسمع ويُتداول، حتى صار بعضه مألوفًا في الحسّ، رغم أنه في ميزان الشرع من أعظم صور الانحراف. ثم تأتي الكلمة الجامعة التي تُوقظ القلب: رحم الله الشيخ ابن عثيمين حين سُئل عن سبب تأخر النصر، فقال بمعناه: ليس عندنا ما يوجب النصر، فكيف نطلبه؟ هذه الجملة ليست إجابة عاطفية، بل ميزان عقدي وسُني دقيق: النصر في ميزان القرآن ليس وعدًا مطلقًا لكل من انتسب إلى الإسلام، بل وعدٌ مشروط بتحقيق الإيمان والتقوى، وإقامة الدين في النفس والمجتمع بقدر الاستطاعة والصدق.

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ ليست شعارًا يُرفع عند الحاجة، بل ميزانًا يُختبر به الواقع قبل الدعاء. حين تتراكم صور الانحراف في حياة الأمة، لا يعود السؤال: لماذا تأخر النصر؟ بل يصبح السؤال الأدق: ماذا بقي من أسباب النصر في واقعنا؟

ليس الحديث عن ذنوب أفرادٍ متفرقين، بل عن حالةٍ عامةٍ حين تُرى الكبائر وتُتعايش، وتُضعف في النفوس الغيرة الشرعية، ويُستبدل الإنكار بالتطبيع، والهيبة من المعصية بالألفة معها. وهنا تظهر خطورة التحول: فالمعصية إذا خُفيت كانت فتنةً لصاحبها، أما إذا شاعت وصارت مألوفة، فإنها تتحول إلى بيئةٍ تُربّي النفوس على

اللامبالاة، حتى يضعف معنى "المعروف" في القلب، ويبهت معنى "المنكر". ولذلك فإن قول الشيخ ليس قنوطًا من رحمة الله، بل هو إعادة توجيهه للبوصلة: النصر ليس قضية دعاءٍ فقط، بل قضية حالٍ وإصلاح. وليس مسألة آمنياتٍ تُطلب، بل سننٌ تُستجلب.

إن أخطر ما يُصيب الأمة ليس وجود الذنب، بل فقدان الحسّ بالذنب. وليس وقوع الفتنة، بل الاعتیاد عليها. وليس ضعف الفرد، بل تآكل المفاهيم حتى تختلط الحدود بين الطاعة والمعصية، وبين الهدى والهوى. ومع هذا، فإن باب الرجوع لا يُغلق ما دام في القلب حياة. فالرحمة الإلهية أوسع من الذنوب، لكن طريقها لا يمر عبر التبرير، بل عبر التوبة. ولا يُنال الرضا بالشكوى وحدها، بل بالعودة الصادقة.

وحين تُقرأ كلمات أهل العلم في هذا السياق، فإنها لا تُقرأ كأحكامٍ على الواقع فقط، بل كدعوةٍ لإعادة بناء الداخل: إيمانٌ يُصلح القلب، وتقوى تُقيم السلوك، وحياءٌ يعيد للمعصية قبحها في النفس، قبل أن تُترك في الخارج. فليس الطريق إلى النصر أن نكثر من ترديد أسبابه لفظًا، بل أن نُعيد وجودها واقعًا: في القلب، وفي البيت، وفي المجتمع.

وحينها فقط، لا نكون ممن يقولون: لماذا تأخر النصر؟ بل ممن يسعون لأن يكونوا من أهله.

عن الاسرى في سجون الظالمين

حين تُقَيَّد الأجساد...
وتبقى الأرواح معلقةً بوعد الله

◀ هموم أمتي... إلى أين؟

ليس أثقل على قلب المؤمن من أن يعلم أن له إخوة يقضون أعمارهم خلف الجدران، بعيدًا عن الأهل والأوطان، تتناوب عليهم الليالي والأيام، ولا يملكون من الدنيا إلا يقيئًا يثبتهم، ورجاء لا ينقطع بربهم.

الأسر ليس رقمًا في نشرات الأخبار، ولا صورة عابرة في وسائل الإعلام، بل هو حياة كاملة تُنتزع من أصحابها. هو أمٌ تنتظر ولدها أعوامًا، وزوجةٌ تحيا على أمل اللقاء، وطفلٌ يكبر وهو لا يعرف من أبيه إلا صوته أو صورته، ووالدان يذبل العمر في أعينهما وهما يترقبان خبرًا يحيي القلوب بعد طول انتظار.

وفي زنازين الظالمين، تتجرد الإنسانية من كثير من معانيها؛ عزلةٌ طويلة، وحرمانٌ من الأهل، وإهمالٌ طبي، وتجويع، وتعذيبٌ جسدي ونفسي، وإذلالٌ متكرر، ومحاولاتٌ لكسر الإرادة وإطفاء نور الإيمان في القلوب. وما خفي من الآلام أعظم مما يصل إلى الناس، فكم من وجع لا تنقله الكاميرات، وكم من دمةٍ لا يراها أحدٌ إلا الله.

ومع ذلك، فإن التاريخ يشهد أن السجون لم تستطع أن تهزم العقيدة، وأن القيود لم تستطع أن تكسر الإيمان. فقد ابتلى الأنبياء والصالحون، وشُجن المصلحون، وأُوذوا في سبيل الله، ولكنهم خرجوا من محنهم أكثر يقينًا، وأشد تعلقًا بربهم.

إن الإسلام دين العدل حتى مع الأعداء، وقد أمر بالإحسان إلى الأسير، فقال سبحانه: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشَكِيًّا وَبَيْتِيًّا وَأَسِيرًا﴾. فإذا كان هذا هو خلق الإسلام مع أسير الحرب، فكيف بمن يُعَذَّب ويُهان ويُحرم من أبسط حقوقه لأنه مسلم، أو لأنه يدافع عن أرضه، أو لأنه وقع في يد من لا يرقب في مؤمنٍ إلا ولا ذمة؟

إن ما يتعرض له كثير من الأسرى المسلمين من ظلم وتعذيب وإذلال، إن ثبت وقوعه، فهو من أعظم صور العدوان على الكرامة الإنسانية، وهو شاهد على انهيار القيم عند من يرفعون شعارات الحقوق والحرية، ثم يغضون الطرف عن معاناة المستضعفين إذا خالفت أهواءهم ومصالحهم.

ومع كل ذلك، يبقى السؤال المؤلم: أين الأمة؟

أين القلوب التي كانت ترتجف لآلام إخوانها؟ وأين الدعوات الصادقة في جوف الليل؟ وأين استشعار الأخوة التي جعلها الله رابطة لا تقطعها الحدود ولا السجون؟

لقد قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

فهل ما زال الجسد يشعر بآلمه؟ أم أن كثرة المصائب أورثت كثيرًا من الناس اعتياد المشاهد حتى أصبحت المآسي تمر بلا دمة، ولا دعاء، ولا اكتراث؟

إن واجب المسلم ليس أن يحول القضية إلى شعارات موسمية، ولا أن يجعلها مادةً للجدل، وإنما أن يؤدي ما يستطيع من النصر المشروعة؛ بالدعاء، والصدق في نقل الأخبار، وإحياء قضيتهم في النفوس، ومواساة ذويهم، وتربية الأجيال على أن الأسرى ليسوا أرقامًا، بل رجالًا ونساءً دفعوا من أعمارهم وأجسادهم ثمنًا باهظًا.

وسياتي يوم يقف فيه الظالم والمظلوم بين يدي الله، لا يحجب سلطان سلطانًا، ولا تنفع قوةً صاحبها، ولا تضيع عند الله دمةٌ سالت، ولا آهةٌ خرجت من قلب مكلوم، ولا صرخةٌ مظلوم ظن الناس أنها ضاعت في ظلمات السجون. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾.

فيا رب... يا من لا تخفى عليه خافية، كن للأسرى معينًا ونصيرًا، واربط على قلوبهم، وثبت أقدامهم، وفرج كربهم، وفك أسرهم، واجعل لهم من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، ومن كل بلاء عافية، واجعل للظالمين يومًا يرون فيه عدلك الذي لا يرد، فإنك نعم المولى ونعم النصير.



ذو الجلال والإكرام

◀ أسماء الله الحسنى

من أجلِ أسماءِ الله الحسنى وأعظمها أثراً في تزكية القلوب اسم ذو الجلال والإكرام، فهو اسم يجمع بين كمال العظمة وكمال الإحسان، وبين الهيبة التي تملأ القلوب إجلالاً، والرحمة التي تملؤها رجاءً. ولذلك كان من الأسماء التي أرشد النبي ﷺ إلى الإلحاح بها في الدعاء، لما تضمنته من معاني جليلة تستجمع أصول العبودية كلها.

قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، فجعل البركة ملازمة لاسمه سبحانه؛ لأن كل خير في الدنيا والآخرة إنما هو من آثار جلاله وإكرامه. فهو سبحانه ذو الجلال، أي المتصف بالعظمة والكبرياء والعزة والكمال المطلق، الذي لا يشبهه شيء، ولا يدانيه أحد، ولا يليق أن يُصرف شيء من التعظيم المطلق إلا له. وهو ذو الإكرام، أي المتفضل على عباده بالنعم الظاهرة والباطنة، يكرم أوليائه بالإيمان والهداية، ويكرم التائبين بالمغفرة، ويكرم الداعين بالإجابة، ويكرم أهل الجنة برؤية وجهه الكريم، وهي أعظم كرامة ينالها أهل النعيم.

ومن تأمل هذا الاسم علم أن العبودية لا تستقيم إلا إذا اجتمع في القلب تعظيم الله ومحبته، والخوف منه والرجاء فيه. فمن عرف جلال الله استصغر نفسه، وانكسر بين يديه، وعظم أوامره ونواهيه، ولم يتجراً على حدوده، لأنه يعلم أنه يقف بين يدي ملك الملوك، العظيم الذي لا تخفى عليه خافية. ومن عرف إكرام الله امتلأ قلبه حسن ظن بربه، فلم يقنط من رحمته، ولم ييأس من مغفرته، وأيقن

أن خزائن فضله لا تنفذ، وأن كرمه أوسع من ذنوب العباد إذا صدقوا في التوبة والإنابة. ولهذا كان هذا الاسم جامعًا لمقامي الخوف والرجاء، فلا يطفئ أحدهما على الآخر، بل يسير المؤمن إلى ربه بقلب يعظمه فلا يستهين بمعصيته، ويرجوه فلا ييأس من رحمته. فالجلال يمنع من الجرأة، والإكرام يفتح باب الأمل، ومن جمع الله له هذين المعنيين فقد رزقه قلبًا سليمًا يعرف ربه حق المعرفة.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم أن يعظم العبد شعائر الله، فلا يتعامل مع الدين على أنه عادات تؤدي، بل يراه حقًا لله ذي الجلال والإكرام، فيحسن صلاته، ويصدق في دعائه، ويراقب ربه في خلواته قبل جلواته. كما يدفعه هذا الاسم إلى الإحسان إلى الخلق، فإن الله يحب من عباده أن يتخلقوا بما يليق بهم من آثار أسمائه، فيكون كريمًا مع الناس، عفوًا عن المسيء، محسنًا إلى المحتاج، راجيًا بذلك إكرام الله له يوم يلقاه.

وكما ازداد العبد معرفةً بهذا الاسم، ازداد يقينًا بأن الله أجلُّ من أن يُعصى، وأكرم من أن يرد عبدًا قصده، وأعظم من أن يضيع من تعلق به، وأرحم من أن يخيب من وقف ببابه منكسرًا، يقول بصدق: يا ذا الجلال والإكرام. فذلك دعاء يجمع بين تمجيد الرب سبحانه والتوسل إليه بأسمائه الحسنى، وهو من أعظم أسباب القرب منه والفوز بفضله.

معنى إنا لله وإنا إليه راجعون

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى
لرجلٍ: كم أتت عليك؟
قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين
سنة تسيرُ إلى ربك توشكُ أن تبلغ،
فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون،
فقال الفضيل: أتعرفُ تفسيره؟
تقول: أنا لله عبدٌ، وإليه راجعٌ؛ فمن علم
أنَّه لله عبدٌ، وأنَّه إليه راجعٌ، فليعلم أنَّه
مسؤولٌ، ومن علم أنَّه مسؤولٌ فليعدَّ
للسؤال جوابًا، فقال الرجل: ما الحيلة؟
قال: يسيرةٌ، فقال الرجل: ما هي؟
قال: تحسن فيما بقي، يُغفر لك ما
مضى، فإنك إن أسأت فيما بقي، أخذت
بما مضى وما بقي.



